صفات عباد الرحمن
٣ - قيام اللّيل

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

لا زلنا نعيش مع عباد الرحمن ، مع هذه اللّوحة القرآنية التى رسمها الله تبارك وتعالى لعباده ، ليصوّر فيها نموذجًا لنا من النماذج الراضية المرضية عند الله تبارك وتعالى ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾[١] .

حدّثنا الله تعالى عن حالهم فى أنفسهم ، وحالهم (التواضع) لا الفخر ولا الكبرياء : « يمشون على الأرض هونا » .

وحدّثنا عن حالهم مع النّاس ، وهى حالة من لا يشغل نفسه بالسفهاء ،ولا يخاطب الجاهلين إلاّ سلاما : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا ﴾ .

وهو هنا يحدّثنا عن حالهم مع ربّهم ،وتتجلّى حالهم هذه فى جنح اللّيل ، إذا أرخى اللّيل سدوله ، إذا أوى النّاس إلى فرشهم ولحفهم ، كان لهم حال مع الله : «يبيتون لربّهم سجدا وقيامًا » ، والخلْيون هُجّع ، والناس فى غفلاتهم نائمـــون ، أو فى سهرهم ماجنون ، أو فى مجونهم ساهرون . . هناك «يبيتون لربّهم سجّدًا وقياما» .

إنّهم فى ليلهم بين سجود وقيام ، وهذه أظهر حال الصلاة : السجود والقيام «أقرب ما يكون العبد من ربه - عزّ وجلّ - وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »[٢] .

---

(١) الفرقان : ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) رواه مسلم ،وأبو داود،والنّسائى ، من حديث أبى هريرة ﷺ (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : الحديثان ١٩٣ ، ٩٢٣) .

وُصفوا بالسجود حيث يضعون جبهاتهم على الأرض لله تبارك وتعالى ، هذه الجباه التى علت وارتفعت فلا تنحنى لمخلوق ، إنّما تنحنى لله سبحانه وتعالى ، راكعة ساجدة ، خاشية خائفة ، طامعة فى رحمة الله عزّ وجلّ .

« يبيتون لربهم سجّدًا وقياما » : فهم بين سجود وقيام ، يقومون يتلون كتاب الله ، يقرأون كلام الله ، يسألونه الرحمة ، ويستعيذون به من النّار .

إنّهم يفعلون ذلك ليس طلبًا لمرضاة أحد ، ولا ابتغاء محمدة أو شهرة ، وإنّما يفعلون ذلك لله : « يبيتون لربهم » .

إنّهم يبيتون لله ، يبتغون وجهه ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، وصدق الله العظيم حينما وصف أمثال هؤلاء فقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ . ﴾ [1] هذا هو العلم ، العلم بما أعدّه الله لعباده الصالحين فى الآخرة من نعيم ، وما أعدّه للآخرين من عذاب أليم .

« يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » : كان لبعض السلف غلام ، خادم عندهم، فكان يقوم اللّيل ، فقال له مولاه (سيّده) : إنّ قيامك بالليل يؤثّر على عملك فى النّهار .

قال : وماذا أعمل ؟ إنّى إذا تذكرت الجنّة طال شوقى ،وإذا تذكرت النّار طال خوفى ، فكيف لى أن أنام بين خوف يزعجنى وشوق يقلقنى ؟! .

هؤلاء هم الذين ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [2] ، رغم أنّ المضجع هنيىء والفراش ليّن ، فإنّهم يَدَعُون ذلك كلّه لله .

روى الإمام أحمد [3] عن ابن مسعود عن النّبىّ ﷺ أنّه قال : « عجب ربنا تعالى من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبّه إلى صلاته ، فيقول الله جلّ وعلا : أنظروا إلى عبدى ثار عن فراشه ووطائه من بين حبّه وأهله

---

(١) الزمر: ٩ ،وتتمّتها: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ . (٢) السجدة: ١٦ .

(٣) ورواه أيضًا أبو يعلى والطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، وحسّن الهيثمى إسناده (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٢٢١ ، الحديث ٣٢٣) .

إلى صلاته رغبة فيما عندى ، وشفقة ممّا عندى . ورجل غزا فى سبيل الله ، وانهزم أصحابه ، وعلم ما عليه فى الانهزام ،وما له فى الرجوع ، فرجع حتى يُهريق دمه ، فيقول الله : أنظروا إلى عبدى رجع ، رجاء فيما عندى وشفقة ممّا عندى ، حتى يُهريق دمه » .

الخوف والطمع ، أو الرغبة والشفقة ، الرغبة فيما عند الله من المثوبة ، والشفقة ممّا عنده من العقوبة ، هو الذى جعله يترك الفراش اللّيّن والمضجع الطيّب إلى الله عزّ وجلّ .

الرجل الآخر : الذى غزا لله ، وحينما رأى أصحابه انهزموا ، وعلم ماله فى الرجوع وما عليه من الفرار ، رجع وقاتل حتى أهريق دمه ، يعجب الله منه ويُباهى به ملائكته .

كلاهما مجاهد ، كلاهما مكابد ، هذا جاهد النّفس حتى أهراق دمه فى مرضاة الله ، وهذا كابد اللّيل وقام يرضى الله سبحانه وتعالى .

الله تعالى وصف المتقين بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) ، قلّ هجوعهم ، وقلّ نومهم باللّيل ، وفى آخر اللّيل يستغفرون ، يشعرون بالتقصير رغم قيامهم ومكابدتهم لليّل وطوله ،وبأنهمّ مفرّطون فى جنب الله ، مقصّرون فى حقّ الله ، فيطلبون المغفرة من الله عزّ وجلّ .

كان بعض السلف يقوم من اللّيل حتى إذا جاء السحر قال : يا ربّ إنّ مثلى يستحى أن يسألك الجنّة ، فأسألك برحمتك أن تجيرنى من النّار .

يرى أنّه ليس أهلاً لأن يطلب الجنّة ،فحسبه أن يسأل النّجاة من النّار !

هؤلاء هم الذين حدا بهم الخوف والطمع - الخوف ممّا عند الله والطمع فيما عند الله - إلى أن يَصفّوا أقدامهم لله راكعين ساجدين ، يُناجونه قائلين :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكـــاؤهنّ لغير فقدك ضائع !

توفى سيّد الصوفيّة فى عصره ، وشيخ المربّين الروحيّين : الجنيد رحمه الله ،

---

(١) الذّاريات : ١٥ - ١٨ .

فرآه بعض أصحابه فى المنام ، فسأله عن حاله ، فقال له : ذهبت الإشارات ، وطاحت العبارات ، وضاعت العلوم ، وفنيت الرسوم ، ولم ينفعنا إلاّ ركيعات كنّا نقوم بها فِى جوف اللَّيل !

وصف الشاعر ابن الرومى هؤلاء القــوّام ، المستغفرين بالأسحار فى قصيدة له وصفًا مُبدعًا حينما قال :

تتجافى جنـــــوبهم عن وطِىء المضاجع
كلّهم بين خـــــائف مستجيـــــر وطامع
تركـــــوا لذّة الكَرَى للعيـــــون الهواجع
ورعوا أنجـــــم الدُّجى طالعًـــــا بعد طالع
لو تراهـــــم إذا هُمُ خطـــــروا بالأصابع
وإذا هـــــم تأوّهوا عند مرّ القـــــوارع
وإذا باشـــــروا الثرى بالخـــــدود الضوارع
واستهلّت عيـــــونهم فائضـــــات المدامع
ودعوا : يا مليكـــــنا يا جميـــــل الصنائع
اعف عنّا ذنـــــوبنا للوجـــــوه الخواشع
اعف عنّا ذنوبنـــــا للعيـــــون الدوامع
أنت - إن لم يـــــكن لنا شافع - خيرُ شافع
فَأُجِيبوا إجـــــابة لم تقـــــع فِى المسامع
ليس ما تصنعـــــونه أوليـــــائى بضائع
تاجرونى بطـــــاعتى تربحـــــوا فى البضائع
وابذلوا لى نفوســـــكم إنّها فِى ودائعى !(١)

---

(١) ديوان ابن الرومى : ٤/١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، طبعة دار الكتب المصريّة .

هؤلاء هم قوّام اللّيل تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، واللّيل للنّاس فيه أحوال ومنازل :

هناك من يقضى اللّيل فى طاعة الله ، وهناك آخرون يقضونه فى نوم إلى الصباح ، وهناك من يسهرون اللّيل ، ولكن فيم يُسهرون الجفون ؟ وفى أىّ حال يعيشون ؟

إنّ هناك من يسهر فى اللّهو والمجون ، هناك من يسهر فى لهو وعبث حتى قُرْب الفجر ، فإذا قَرُب الفجر نام ، ولم يقم إلاّ فى الضحى أو فِى الظهر .

هناك من يبيت ليله ليلاً أحمر فى شهوات ومنكرات ، يعبّ من الشهوات ، ويقارف المنكرات ، لا يخشى خالقًا ، ولا يستحى من مخلوق .

هناك من يقضى اللّيل فى إجرام ، يُبَيِّتُ المكايد والشرور والأذى للنّاس .

وهناك من لا همّ له إلاّ الأكل والشرب والنوم ، فنهاره شراب وطعام ، وليله رقود ومنام ، على نحو ما قال القائل :

إنّما الدنيا طعـــــام وشـــــراب ومنام
فإذا فاتـك هـــــذا فعلى الدنيا السلام !

هذه أنواع من اللّيل لأصناف من الناس ، وأمّا ليل هؤلاء : فهم « يبيتون لربهم سجّدا وقياما » .

كان رسول الله ﷺ - كما وصفته عائشة - : « يقوم من الليل حتى تتفطّر قدماه » أى : تتشقّق ، وفِى بعض الروايات : « حتى تتورّم قدماه » فقالت له : لم تصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ قال : « أفلا أحبّ أن أكون عبدًا شكورًا » (١) .

دخل عليها يومًا عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح فسألاها : أخبرينا بأعجب شىء رأيته من رسول الله ﷺ ؟ فسكتت ، ثمّ قالت : لما كان ليلة من الليالى قال : « يا عائشة ، ذرينى أتعبّد الليلة لربّى » ، قلت : والله إنّى أحبّ قربك ، وأحبّ ما يسرّك ، قالت: فقام فتطهرّ ، ثمّ قام يصلىّ ، قالت : فلم يزل يبكى حتى بلّ حجره ،

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، عن عائشة رضي الله عنها (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢١٨/١ برقم ٣١٢) .

قالت : وكان جالسًا ، فلم يزل يبكى ﷺ حتى بلّ لحيته ، قالت : ثمّ بكى حتى بلّ الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلّما رآه يبكى قال : يا رسول الله ، وتبكى وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟ لقد نزلت علىّ الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) - الآية كلّها - » (٢) .

هكذا كان ليله ﷺ ، وهكذا كان أصحابه .

كانوا يشمّرون عن ساعدهم ، كانوا يحاولون أن يقوموا الليل كلّه ، وكان منهم من لا يكتفى بقيام نصف اللّيل أو ثلثيه ،ويريد أن يقوم اللّيل كلّه ، والنّبىّ ﷺ يحاول أن يردّهم إلى الاعتدال حتى يدوموا عليه ، فـ « أحبّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ » (٣) .

كانت أشواقهم عالية ، كانت هممهم رفيعة ، فلم يكونوا يقتصرون على الفرائض ، بل كانوا يحبّون أن يتنفّلوا وأن يستزيدوا ،وأن يكثروا من رصيدهم عند الله عزّ وجلّ ، هكذا كان سلف هذه الأمّة .

باع الحسن بن صالح - من فقهاء السلف - جارية كانت عنده لقوم ، فلمّا كان الثلث الأخير من الليل قامت تنادى فيهم : الصلاة .. الصلاة ، فقالوا لها : أأصبحنا ؟ أطلع الفجر ؟ قالت لهم : وما تصلّون إلاّ الفجر ؟! قالوا : بلى ما نصلّى إلاّ المكتوبة ، فرجعت إلى سيّدها الأوّل وقالت له : بعتنى لقوم ليس لهم حظّ من اللّيل ، بالله عليك إلاّ رددتنى !

هكذا كانوا ، أحرارًا وعبيدًا ، حرائر وإماء ، ورجالاً ونساء ، كانوا يقومون اللّيل كلّه .

مرّ أبو حنيفة - وكان يقوم بعض اللّيل - على قوم فقال بعضهم وأشار إليه :

---

(١) آل عمران : ١٩٠ وما بعدها .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عبيد بن عمير رضي الله عنه ، ونسبه ابن كثير فى تفسيره أيضًا إلى ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن أبى الدنيا ، وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرًا على جزء من آخر الحديث ،وانظر نصّ الحديث فى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى : ١/ ٤٢٨ - ٤٢٩ برقم ٨١٠) .

(٣) متفقٌ عليه من حديث عائشة رضي الله عنها (الجامع الصغير : ١/ ١١) قال المناوى : ورواه أحمد بلفظ : « أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ » والله أعلم (فيض القدير: ١/ ١٦٥ - ١٦٦ برقم ١٩٧) .

هذا هو الرجل الذى يُحيى اللّيل كلّه ، فقال : والله إنّى لأستحِى من الله أن أُوصف بما لا أفعل ، فكان بعد ذلك يحيى اللّيل كلّه .

وكان منهم من يقوم جزءاً منه ، وهذا هو الأوفق للسّنّة والأرفق للبدن . قال النبى ﷺ : « أحبّ الصلاة إلي اللهّ صلاة داود ، وأحبّ الصيام إلي الله صيام داود ، كان ينام نصف اللّيل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه . . » (١) .

أى ينام الجزء الأخير من الليل حتى يقوم بنشاط .

فكانوا حريصين على جوف اللّيل ، كما جاء في الحديث : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل » (٢) .

وقد ورد أنّ الله سبحانه وتعالى ينزل إلي عباده ويتجلّى عليهم في الثلث الأخير من الليل ويناديهم : هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فَيُعطى سُؤله ؟ هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر (٣) .

إنّها ساعات الأسحار . . ساعات التجلّى : « أقرب ما يكون الرب من العبد

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٨ برقم ٣١٣) ، وتتّمة الحديث : « ويصوم يوما ، ويفطر يوماً » .

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه ، والرويانى في مسنده ، والطبرانى في الكبير عن جندب (الجامع الصغير : ١ / ٥٠) قال المناوى : ووهم الطبراني في عزوه له (فيض القدير : ٢ / ٤١ - ٤٢ برقم ١٢٧٤) وتتمّة الحديث : « وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرّم » .

(٣) عن أبى هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا كلّ ليلة إلي سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له ؟ » رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى وغيرهم ، وفي رواية لمسلم : « إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله - تبارك وتعالى - إلي السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل فيعطى ؟ هل من داع فيُستجاب له ؟ هل من مستغفر يُغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح » . قال الشيخ القرضاوى معلّقًا على الحديث : والمؤمن يسلم بصّحة الحديث ، ويوقن بمضمونه ، ولا يخوض في كنهه ، وينزه الله تعالى عن مشابهة خلقه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٤٧٦ - ٤٧٧ برقم ٩٢٤) .

في جوف اللّيل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممّن يذكر الله في تلك الساعة فكن » [1] .

ومن لم يستطع أن يكون له حظّ من الليل ، لا نصف ولا ثلث ، ولا سدس ، فليحرص على أن يُصلّى العشاء في جماعة والصبح في جماعة ، فإنّ النبى ﷺ قال : « من صلّى العشاء فى جماعة فكأنّما قام نصف الليل ، ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنّما صلّى الليّل كلّه » [2] .

ومن لم يفعل ذلك ، من كان أدنى من هذه المنازل ، فليحرص على الصلوات في أوقاتها ، ولا يضيع الصلاة حتى تشرق عليه الشمس وهو نائم .

ذُكر عند النبى ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه » [3] ، قال الحسن : إنّ بوله والله لثقيل .

وما أكثر الذين جعلوا من آذانهم مباول للشيطان !

لقد فسد على النّاس نظام حياتهم ، كان النّاس من قبل ينامون مبكّرين ، ويستيقظون مبكّرين ، فلمّا جاءت الأجهزة الحديثة - أجهزة الإعلام والأفلام والمسلسلات - التى تُسهر الناس إلي ما بعد نصف الليل ، أصبح من العسير على الناس أن يقوموا في الصباح الباكر .

ينبغى أن تكون الصلاة هى المنظّم لحياة المسلمين ، ولمواعيد يقظتهم ونومهم ، ليستقبلوا الصباح الباكر من يد الله طهوراً قبل أن تلوثّه أنفاس العصاة ، ففى الحديث : « اللّهمّ بارك لأمّتى فِى بكورها » [4] .

---

(١) رواه الترمذى واللفظ له ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢٢٠ برقم ٣٢١) .

(٢) رواه مالك ، ومسلم واللفظ له ، وأبو داود ، والترمذى ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ١٧٤ برقم ٢٠٣) .

(٣) رواه البخارى ، ومسلم ، والنّسائى ، وابن ماجه ، عن ابن مسعود ورواه أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة وقال : « في أذنه » على الإفراد وزاد في آخره قول الحسن (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢٢٣ - ٢٢٤ برقم ٣٣١) .

(٤) رواه الأربعة ، وحسّنه الترمذى ، وصحّحه ابن حبان من حديث صخر بن =

ورد عن النبى ﷺ فيما رواه البخارىّ : « يعقد الشيطان على قافية رأس [1] أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عقد ، يضرب على كلّ عقـدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلّت عقدة ، فإن توضّأ انحلّت عقدة ، فإن صلّى انحلّت عقده كلّها ، فأصبح نشيطاً طيبّ النفس ، وإلاّ أصبح خبيث النفس كسلان » [2] لازالت عقد الشيطان على رأسه ، ولذلك قال النبى ﷺ : « فحلّوا عقد الشيطان ولو بركعتين » [3] .

هكذا يريد منّا رسول الله ﷺ : ألاّ نستسلم للشيطان .

إنّ الذى يعين الناس على قيام الليل - كما قال الإمام الغزالى رضي الله عنه [4] - أن يتخفّفوا من المآكل والمشارب ، وقد قال بعض الصالحين : لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسّروا عند الموت كثيراً .

وممّا يعين - أيضًا - على ذلك : ألاّ يجهد الإنسان نفسه بالنّهار فلا يستطيع القيام بالليل ، وأن يستعين كذلك على قيام الليل بالقيلولة كما ورد في الأثر [5] .

دخل الحسن البصرى السوق فوجد أهله في شغل شاغل بدنياهم ، وعجب من لغطهم ولغوهم فقال : ما أظنّ ليل هؤلاء إلاّ ليل سوء فإنّهم لا يقيلون .

= وداعة الغامدى ، وزاد : وكان - أى النبى ﷺ - إذا بعث سريّة أو جيشاً بعثهم أول النهار ، قال : وكان صخر تاجراً ، فكان يبعث في تجارته فِى أوّل النّهار ، فأثرى وكثر ماله ، أنظر (المقاصد الحسنة للسخاوى : حديث ١٧١) .

(١) قافية الرأس : مؤخّرة ، ومنه سمّى آخر بيت الشعر قافية .

(٢) رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنّسائى وابن ماجه ، وابن خزيمة في صحيحه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٦ برقم ٣٠٧) .

(٣) هذه الزيادة أوردها ابن خزيمة في صحيحه .

(٤) في الباب الثانى من كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل ، وهو الكتاب العاشر من (إحياء علوم الدين) ، وبه اختتام ربع العبادات .

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما : « استعينوا بطعام السحر على صيام النّهار ، وبالقيلولة على قيام الليل » رواه ابن ماجه ، والحاكم وصحّحه ، والبزار ، والطبرانى في الكبير ، والبيهقى في الشعب ، وزمزله السيوطى بالصّحّة ، لكن فيه زمعة بن صالح ضعيف لخطئه ووهمه وإن كان صدوقاً (فيض القدير للمناوى : ١ / ٤٩٤ برقم ٩٨٦) (كشف الخفاء للعجلونى : ١ / ١١٩ برقم ٣٣٠) .

ثمّ على الإنسان بعد ذلك أن يبتعد عن الحرام ، وأن يجتنب الذنوب ، قال سفيان الثورى : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل : وما ذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلاً يبكى فقلت في نفسى : هذا مراء يرائى النّاس .

وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد إنّى أبيت معافي وأحبّ قيام اللّيل وأعدّ طهورى فما بالى لا أقوم ؟ قال : لعلّ لك ذنوباً قيدّتك .

وعلى الإنسان المسلم الذى يريد أن يتشبّه بهؤلاء :

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إنّ التشبّه بالرجال فلاح

عليه أن يتذكّر الآخرة ، يتذكّر الموت وما بعده ، كان بعضهم يقول لنفسه إذا أراد النّوم :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النّوم تورث الحسرات

إنّ في القبر إن نزلت إليه لرقاداً يطول بعد الممات

عليه أن يتذكّر الجنّة والنّار ، قال طاووس : إنّ ذكر جهنمّ طيّر النّوم من أعين العابدين .

على الإنسان أن يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، يقول ﷺ : « عليكم بقيام اللّيل فإنّه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلي ربّكم ، ومكفرة للسّيّئات ، ومنهاة عن الإثم » [1] .

قيام اللّيل يبدأ من بعد صلاة العشاء إلي الفجر .

تستطيع أن يكون لك حظّ في هذا الوقت ، وإذا لم تكن تستطيع أن تقوم قبل الفجر ، فصلّ بعد العشاء .

صلّ ما استطعت من ركعتين ، إلي أربع ، إلي ستّ ، إلي عشر ، إلي اثنتى عشرة ركعة ، واختم بالوتر [2] ، فإنّ آخر صلاة اللّيل مشهودة .

---

(١) رواه الترمذى ، وابن أبى الدنيا في كتاب التهجدّ ، وابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٨ - ٢١٩ برقم ٣١٥) .

(٢) عن عبد اللّه بن عمر ، عن النبى ﷺ قال : « اجعلوا آخر صلاتكم باللّيل وترا » متفق على صحته (شرح السنة للبغوى : ٤ / ٨٦ برقم ٩٦٥) .

على المسلم أن يستفيد من الليل ، من هذا الوقت الذى يتجلّى الله سبحانه وتعالى فيه لعباده ، وألاّ يضيع حظّه من الليل ، فإذا لم يكن له حظّ من اللّيل ، فكما قال بعض السلف : إذا لم يكن لك حظّ من اللّيل ، فلا تعصى ربَّك فِى النّهار .

وهذا أدنى المنازل .

أقلّ ما يطلب منك أن تؤدّى الفرائض .

الله وصف (عباد الرحمن) بأنّهم : « يبيتون لربّهم سجّداً وقياما » ، ولم يصفهم بأنّهم يحافظون على الفرائض ، فهذه منزلة دون منزلتهم ، وهم أعلى من ذلك وأرفع .

ذكر النبى ﷺ الجنّة فقال : « فِى الجنّة غرفة [1] يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها » ، فقال أبو مالك الأشعرى : لمن هى يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والنّاس نيام » [2] .

وقال عبد اللهّ بن سلاّم : أوّل ما قدم رسول اللهّ ﷺ المدينة انجفل النّاس إليه (أى أسرعوا ومضوا إليه) فكنت فيمن جاءه ، فلمّا تأمّلت وجهه ، واستبنته ، عرفت أنّ وجهه ليس بوجه كذّاب ، فكان أوّل ما سمعت من كلامه أن قال : « أيّها النّاس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ،وصلّوا بالليل والنّاس نيام تدخلوا الجنّة بسلام » [3] .

نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء ، إنّه سميع قريب ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، ادعو اللهّ يستجب لكم .

* *

---

(١) في المستدرك : « إنّ فِى الجنّة غرفا » والغرف : المنازل المرفوعة .

(٢) رواه الطبرانى في الكبير بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٧ برقم ٣١٠) .

(٣) رواه أحمد ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه والدارمى ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٧ برقم ٣٠٩) .

• الخطبة الثانية :

أمّا بعد :

يقول النبى ﷺ : « من استيقظ من الليل ، وأيقظ أهله فصلّيا ركعتين ، كتبا من الذاكرين اللهّ كثيراً والذاكرات » (١) .

وقال : « رحم اللهّ رجلاً قام من الليل فصلّى ، وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح فِي وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّن ، وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء » (٢) .

ولا شكّ أنّ هذا النضح - وهو الرّشّ الخفيف - من باب الممازحة ، وهو إنّما يكون بناء على اتفاق بينهما ، فهما متفاهمان على طاعة اللهّ تعالى ، ولا يحبّ أحدهما أن ينفرد بالخير دون الآخر .

إنّها الأسرة المسلمة ، الأسرة التى تعيش في ظلال الرحمن ، في مرضاة الله تبارك وتعالى ، يعين كل منهما صاحبه على تقوى الله تعالى ومرضاته ، ونعم الزوجة تعين زوجها على أمر دينه ، ونعم الرجل يعين زوجته على طاعة اللهّ .

أين هذا ممّا نراه اليوم من أسر مفكّكة لا يكاد يعرف أحدهم الآخر ، وإذا تعارفوا فإنّما يتعارفون على أشياء غير ما يرضى اللهّ تبارك وتعالى ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣) .

ورد أنّ فِى يوم الجمعة ساعة إجابة ، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له ، ولعلّها تكون هذه الساعة (٤) .

---

(١) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٩ برقم ٣١٧) .

(٢) رواه أبو داود ، وهذا لفظه ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى (المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢١٩ برقم ٣١٦) .

(٣) التحريم : ٦ .

(٤) يشير الشيخ إلي حديث أبى هريرة المتفق عليه ، أنّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لاّ يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئًا إلاّ أعطـاه إيّاه » =

اللهمّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .

اللهمّ إنّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا ، وأهلينا وأموالنا ، اللهمّ استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا [1] .

اللهمّ اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقى .

اللهمّ أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ [3] .

وصلّ اللهمّ على عبدك ورسولك محمدّ ، وعلى آله وصحبه وسلّم : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [4] .

﴿ . . وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [5] .

* * *

= وأشار بيده يقللها ، والمراد بالساعة هنا معناها اللغوى وهو (برهة من الزمن) ولهذا قال : وأشار بيده يقلّلها ، ليسارة وقتها ، وأمّا تعيين هذه الساعة فقد ورد فيه أحاديث كثيرة صحيحة واختلف العلماء فيها اختلافاً كثيرا ، أنظر في ذلك (زاد المعاد لابن القيم : ١ / ٣٨٨ - ٣٩٧) و (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى : ١ / ٢٤١ - ٢٤٣) .

(١) وهى من الكلمات التى لم يكن رسول الله ﷺ يدعها حين يمسى وحين يصبح ، كما ذكر ابن عمر رضى الله عنهما فيما رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم . وانظر تعليق الشيخ على هذا الدعاء في كتابه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٢٢٨ برقم ٣٤٣) .

(٢) الحشر : ١٠ .
(٣) آل عمران : ١٤٧ .
(٤) الأحزاب : ٥٦ .
(٥) العنكبوت : ٤٥ .

صفات عباد الرحمن
٤ - الخوف من النّار

• الخطبة الأولى :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

لازلنا نعيش مع عباد الرحمن ، مع أخلاق هؤلاء الربانيّين ، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، يقول اللهّ تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (١) .

وصف الله هؤلاء العباد :

وصف حالهم في أنفسهم بأنّهم : ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ .

ووصف حالهم مع غيرهم بأنّهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾ .

ووصف حالهم معه سبحانه فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ .

حيث يغفل الغافلون ، وينام النائمون ، ويغطّون في سبـات عميق ، هؤلاء : ﴿ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ .

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ *وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢).

ما الذى دفعهم إلي هذا ؟ .

إنّه الخوف والطمع ، إنّه الرغب والرهب ، إنّه الخوف والرجاء ، خوفهم من الله ، تذكّرهم للآخرة ، أنّها كانت دائماً تجاههم ، وأنّ جهنّم كانت نصب أعينهم .

لم ينسوا قضيّتهم المصيريّة الأولى : أنّهم إلي الله صائرون ، أنّهم مهما عاشوا فى هذه الدنيا فإنّهم ميّتون ، وأنّهم بعد الموت مبعـــوثون ، وأنّهم بعد البعث محاسبون ، فإمّا إلي جنّة ، وإمّا إلي نار ، ولهذا كانت جهنّم دائماً أمامهم .

---

(١) الفرقان : ٦٣ - ٦٦ . (٢) الذاريات : ١٧ ، ١٨ .

لهذا وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (١) والغرام هو : الملازم الدائم المقيم ، كلّ شيىء يزول عنك فليس بغرام ، إنّما الغرام : ما لزمك وأقام معك (٢) .

﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ : وأىّ مقام أسوأ ، وأىّ مستقرّ أقبح من جهنمّ .. الدار التى أعدّها اللهّ للعصاة والمكذّبين من عباده ؟ .

يا أيّها الناس :

اتقوا هذه النّار ، اتقوا جهنّم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣) .

لو كان الموت نهاية المطاف لكان الأمر هيّنا ، ولكن الموت (أشد ما قبله وأهون ما بعده) .

هناك بعد الموت بعث ، وهناك بعد البعث حشر ، وهناك بعد الحشر موقف ، وهناك بعد الموقف حساب وميزان وصحف تتطاير ، ولا تدرى أتأخذها باليمين أم بالشمال ؟ ولا تدرى إلي أين يميل لسان الميزان : إلي جانب الحسنات أو إلي جانب السيئات ؟ أيثقل ميزانك فتكون ممنّ عيشته راضية ؟ أم يخفّ ميزانك فتكون أمّك هاوية ؟ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (٤) .

هناك الموت وسكرته ، هناك القبر وضمّته ، هناك الموقف وزحمته ، هناك الميزان ودقّته ، هناك الحساب وسرعته ، هناك الرّبّ وغضبته ، وهناك الجنّة ونعيمها وهناك النّار ولهيبها .

عباد الرحمن وضعوا نصب أعينهم (جهنمّ) ، وكأنّها تريد أن تلفحهم ، كأنّها تفتح فاها لتلتهمهم ، ولذلك دعاؤهم : ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ ، لأنّ كلّ النّاس واردٌ عليها ، مارٌّ بها ، الصراط فوقها ، منصوب عليها ، يا ترى أتنجو

---

(١) الفرقان : ٦٥ .

(٢) قال في (مختار الصحاح) : (الغرام) : الشرّ الدائم والعذاب وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ قال أبو عبيدة : أى هلاكاً ولزاماً لهم .

(٣) التحريم : ٦ .

(٤) القارعة : ١٠ ، ١١ .

أم تسقط ؟ أتسلم أم تهلك ؟ أتمرّ عليها مرًّا سريعاً أم تختطفك الكلاليب حتى تهوى إلي جهنمّ ؟ .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (١) .

كان أحد الشباب الصالح - ابن أبى ميسرة - يبكى إذا أوى إلي فراشه ويقول : ليت أمّى لم تلدنى ، فقالت له أمّه : يا بنىّ إنّ اللهّ أحسن إليك حين هداك إلي الإسلام ، قال : ولكن يا أمّاه إنّ اللهّ أخبرنا أنّنا واردون على النّار ، ولم يخبرنا أنّنا صادرون عنها .

كلّنا وارد على النّار ، تُرى من ينجو ومن لا ينجو ؟

إنّ المشكلة أيّها الإخوة .. مشكلة النّاس كلّ النّاس : أنّ الآخرة بعيدة عن تفكيرهم .

النّاس لا يفكّرون إلاّ فِى حاضرهم .. في يومهم .. فِى مصالحهم القريبة .. في لذّاتهم العاجلة ، أمّا الغد وما بعد الغد ، فكلّ يبعده عن نفسه .. عن فكره .. عن ذهنه .. عن تصوّره .. عن خياله ، مع أنّ الأمر قريب قريب ، وكل آت قريب :

كلّ امرىء مصبّح فِي أهله والموت أدنى من شراك نعله !

﴿ .. وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ .. ﴾ (٢) .

إنّ مشكلات الحياة تتعقّد حينما نرى النّاس كالذئاب ، حينما نرى النّاس كالسباع في الغابة يأكل القوى الضعيف ، حينما نرى النّاس كالأسماك في البحر يلتهم الكبير الصغير ، ما العلّة ؟

العلّة أنّ الآخرة بعيدة عنهم ، أنّ الناس لا يفكرون إلاّ فِى دنياهم .. هذا هو الإله المعبود .

الدنيا وما فيها أصبحت الشغل الشاغل،أصبحت أكبر همّهم ، ومبلغ علمهم ، ومحور تفكيرهم ، ومدار اهتمامهم .

---

(١) مريم : ٧١ ، ٧٢ . (٢) النّحل : ٧٧ .

ولكن عباد الرحمن صنف آخر :

إنّهم يذكرون الآخرة ويذكرون جهنمّ : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (١) .

روى البخارى (٢) عن أنس رضي الله عنه - قال : كان أكثر دعاء النبى ﷺ : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣) ، رسول الله ﷺ يسأل الله تعالى أن يقيه عذاب النّار ، وهو الذى غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر !

وكان يعلّم أصحابه - كما روى ابن عبّاس - هذا الدعاء كما يعلّمهم السورة من القرآن : « قولوا : اللّهمّ إنّى أعوذ بك من عذاب جهنّم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدّجّال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » (٤) .

وهكذا كان يقولها دبر كلّ صلاة في آخر التشّهد وهذا ما يُسنّ لنا أن نفعله ، حتى رأى ابن حزم وجوب هذا الدعاء في آخر كلّ صلاة .

لابدّ أن يظلّ المسلم ذاكراً للنّار ، وما أدراكم ما النّار ؟ إنّ النبىّ ﷺ يقول : « نار بنى آدم التى تُوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنمّ ، قالوا: يا رسول الله ، إن كانت لكافية (نار الدنيا ليست هّينة فمن يصبر على حرّها ؟) قال : فإنّها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً » (٥) .

وكما روى عن داود عليه السلام : إلهى لا صبر لى على حرّ شمسك ، فكيف أصبر على حرّ نارك ؟!

---

(١) الفرقان : ٦٥ .

(٢) في كتاب (الدعوات) من صحيحه ، باب : قول النبى ﷺ : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة .. » . أنظر : البخارى مع الفتح (١١ / ١٩٥ برقم ٦٣٨٩) ، وانظره في : (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٦ برقم ٢٢٩٧) .

(٣) البقرة : ٢٠١ .

(٤) رواه مالك ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنّسائى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٥ برقم ٢٢٩٤) .

(٥) متفق على صحته من حديث أبى هريرة رضي الله عنه (شرح السّنّة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ١٥ / ٢٣٩ برقم ٤٣٩٨) .

وكما قال القائل :

جسمي على الشمس ليس يقوى ولا على أهـــــون الحرارة !

فكيف يقـــوى عـلى جحيم وقودها النّاس والحجـــــارة ؟!

إنّ الله وصف أولي الألباب - الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ، والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم - بأنّهم يقولون : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (١) .

« فقد أخزيته » : أهنته وأذللته ، فالنّار ليست عذاباً حسّيّاً فقط ، ولكنّها عذاب معنوىّ أيضاً : الخزى .. الذّلّ .. الهوان . حينما يُقال لهم : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونَ ﴾ (٢) أى خزى وأى هوان أشدّ من هذا ؟ .

النّار دار الخزى .. دار الهوان .. دار الحجاب عن اللهّ ، فقد وصف المكذّبين بقوله : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (٣) .

كان بعض الصالحين يتعلقّ بأستار الكعبة ويقول : يا ربّ ، أما كان لك من عقوبة إلاّ النّار ؟ كيف لنا الصبر عليها ؟

روى أنّ النّبىّ عليه الصلاة والسلام كان يقول : « لا تنسوا العظيمتين : الجنّة والنّار » (٤) .

أىّ عظيم أعظم من هاتين العظيمتين ؟ أين أين يكون مصيرك ؟ دار النعيم أم دار العذاب ؟

وقال عليه الصلاة والســلام : « ما رأيت مثل النّار : نام هاربها ، ولا مثل الجنّة : نام طالبها » (٥) .

---

(١) آل عمران : ١٩١ ، ١٩٢ . (٢) المؤمنون : ١٠٨ . (٣) المطففين : ١٥ .

(٤) ذكره المنذرى في (الترغيب والترهيب) عن ابن عـــمر مرفـــوعاً ، وقال : رواه أبو يعلى ، وسكت عليه ، الحديث (٥٢٥٥) بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة .

(٥) رواه الترمذى عن أبى هريرة ، والطبرانى في الأوسط عن أنس ، وحسّنه في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (٥٦٢٢) .

عش في الدنيا ما شئت ، عش سبعين سنة ، أو مائة سنة ، أو مائتـى سنة ، أو ألف سنة ، ثمّ ماذا ؟ ستموت .

ثمّ ماذا بعد الموت ؟

إمّا إلي جنّة ، وإمّا إلي نار ، كما قال النّبىّ ﷺ : « والذى نفسى بيده ما بعد الموت من دار إلاّ الجنّة أو النّار » (١) .

وقال ﷺ يوماً لأصحابه : « والذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيت ، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثـيرا ، قالـوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : رأيت الجنّة - والنّار » (٢) .

فاختر أىّ الدارين ؟

الموت باب ، وكلّ النّاس داخله ... يا ليت شعرى بعد الباب ما الدار ؟

الدار جنّات عدن إن عملـت بما ... يرضى الإلٰه ، وإن خالـفـت فالنّار

هما محلاّن مـا للمرء غيرهما ... فاختر لنفسك أىّ الدار تختـار ؟

إنّ على النّاس أن يكونوا بين الخوف والرجاء ، لا ينبغى أن يغلبهم الرجاء حتى يأمنوا مكر اللهّ ، ولا ينبغى أن يغلبهم الخوف حتى ييأسوا من روح الله .

ولكن إذا كثرت الذنوب .. إذا تزاحمت المعاصى .. إذا امتلأت الصحف بالخطايا ، فعلى الإنسان أن يغلّب الخوف على الرجاء ، أن يتذكّر ذنوبه ولا ينساها ، أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، أن يزن أعماله قبل أن توزن عليه ، أن يسأل نفسه قبل أن يصير السؤال إلي غيره .

عليه أن يتذكّر النّار فيحاسب نفسـه : ماذا قدّمت ؟ وماذا عملت ؟ وفيم قصّرت ؟ وفيم فرّطت ؟ عيسى أن يصّحح ، عسى أن يتدارك ما فات ، عسى أن يتلافي ما فرّط ، عسى أن يجعل يومه خيراً من أمسه وغده خيراً من يومه .

---

(١) لم أعثر له على مخرّج ، فيمكن أن يذكر على أنّه أثر لا حديث .

(٢) رواه مسلم ، وأبو يعلى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٧ ، الحديث ٢٣٠٣) .

هذا هو شأن المؤمنين : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (١) .

حينما نزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (٢) جمع أقاربه ودعاهم ، فعمّ وخصّ ، فقال : « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النّار ، يا معشر كعب أنقذوا أنفسكم من النّار ، يا معشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النّار ، يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النّار ، يا فاطمة بنت محمدّ أنقذى نفسك من النارّ ، فإنّى لا أملك لكم من اللهّ شيئا ، إلاّ أنّ لكم رحماً وسأبُلُّها ببلاها » (٣) .

كلّ إنسان عليه أن ينقذ نفسه من النّار ، وإنّما ينقذ نفسه من النّار : بعمل الصالحات ، واجتناب السيِّئات .

أنقذ نفسك من النّار بأداء الفرائض واجتناب المحارم : « اتّق المحارم تكن أعبد النّاس » (٤) .

أنقذ نفسك من النّار بأداء الحقوق : حقّ الله ، وحقوق النّاس .

أنقذ نفسك من النّار بالتوبة إلي اللهّ إذا أذنبت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴾ (٥) .

---

(١) الفرقان : ٦٢ . (٢) الشعراء : ٢١٤ .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الشعراء (٣ / ٣٥٠) طبعة الحلبى ، رواه أحمد عن أبى هريرة ، ورواه مسلم والترمذى من حديث عبد الملك بن عمير به ، وقال الترمذى : غريب من هذا الوجه ، ورواه النسائى من حديث موسى بن طلحة مرسلاً ولم يذكر فيه أبا هريرة ، والموصول هو الصحيح .

(٤) جزء من حديث رواه أحمد ، والترمذى ، والبيهقى في الشُّعب ، عن أبى هريرة رضي الله عنه (الجامع الصغير : ١ / ٨) ، وعزاه المناوى إلي أبى نعيم في الحلية ، قال الترمذى غريب منقطع ، وقال المنذرى : وبقيّة إسناده فيه ضعف ، وفيه جعفر بن سليمان الضبعى شيعى زاهد ، ضعفه الذهبى والقطان ووثقه آخرون ، وفيه أيضًا أبو طارق السعدى قال الذهبى : مجهول . أنظر (فيض القدير : ١٢٤ - ١٢٥ برقم ١١٨) .

(٥) التحريم : ٨ .

كان عيسى ابن مريم - عليه السلام - يقول : كم من جسد صحيح ، ولسان فصيح ، ووجه صبيح ، غداً بين أطباق النّار يصيح !!

وعندما تصيح غداً لا تنفعك الصيحة ، ولا تنفعك الاستغاثة ، إنّما ينفع ذلك اليوم .

غداً حساب ولا عمل ، واليوم عمل ولا حساب ، فاعمل اليوم للغد ، لتنقذ نفسك من النّار .

كان من أدعية النبـى ﷺ : « .. وأسـألك الجنّة وما قرّب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول أو عمل » (١) .

وكان يعلّم أصحابه هذا الدعاء كما يعلّمهم السورة من القرآن : « قولوا : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنّم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجّال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » (٢) .

وكان يقول : « من سـأل الله الجنّة ثلاث مـرات قالت الجنة : اللهم أدخـله الجنة ، ومن استـجار من النار ثلاث مرات قالت النار : اللهم أجره من النار » (٣) .

فاسألوا الله دائماً الجنّة ، واستعيذوا بالله تعالى من النّار ، فإنّ اللهّ أعدّها للكافرين ، ولكن يُلحق بهم عصاة المؤمنين .

إنّ الله سبحانه وتعالى حذّر وأنذر ، ووعـظ وذكّر ، وأنزل في كتابه آيات بينات ، وصف لنا فيها هذه الدار المخوفة ووصف لنا عذابها ، وما أعدّ فيها ، فقال : ﴿ .. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٤) .

---

(١) قطعة من حديث رواه ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها ، ورواه عنها أيضًا البخارى في الأدب المفرد ، وأحمد ، والحاكم وصحّحه (فيض القدير : ٢ / ١٢٨ برقم ١٤٩٧) .

(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، رواه مالك ، ورواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٥ برقم ٢٢٩٤) .

(٣) من حديث أنس رضي الله عنه ، رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، ولفظهم واحد ، والحاكم وصحّحه ، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٥٥ برقم ٢٢٩٦) .

(٤) الكهف : ٢٩ .

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (١) .

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ ﴾ (٢) .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ المكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٣) .

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٤) .

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ (٥) .

وصف الله لنا النّار حتى تكون واضحة المعالم أمام أعيننا ، وحتى لا تكون لنا حجّة ، ولا يكون لنا عذر ولا تعلّة (٦) .

حذّرنا الله النّار ، وحذّرنا رسوله النّار ، حتى نعمل على النّجاة منها ، أمّا أن نعيش فى غفلة لاهين ، وفى غمرة ساهين ، لا ندرى ماذا يُراد بنا ولا ماذا يُعدّ لنا ، فهذا شأن الغافلين الذين جعلهم الله أحطّ من الأنعام وأضلّ سبيلا .

استمعوا معى إلى قول الله تعالى فى وصف قوم جعلهم حطب جهنمّ ووقود

---

(١) الدخان : ٤٣ - ٤٧ .
(٢) الواقعة : ٤١ - ٤٤ .
(٣) الواقعة : ٥١ - ٥٦ .
(٤) الحاقة : ٣٠ - ٣٢ .
(٥) إبراهيم : ٤٩ - ٥٠ .
(٦) أنظر كتاب : (التخويف من النار والتعّريف بحال دار البوار) لابن رجب الحنبلى (ت ٧٩٥ هـ) فقد أطال الحديث فيه عن النار ، وما أعدّ الله فيها لأعدائه من الخزى والنكال والبوار ، وقسمه ثلاثين باباً .

النّار ، يقول اللهّ عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأنَا لجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنس ، لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ ﴾ (١) .

كانوا أضلّ من الأنعام لأنّ الأنعام لم تُؤت من العقول والمواهب ما أُوتى هــؤلاء ، الأنعام لم يُنّزل عليها كتاب ، ولم يُبعث لها رسول ، الأنعام لم تُستخلف فى الأرض ، ولم يكرّمها الله بالعقل كما كرّم الإنسان .

ثمّ إنّ الأنعام تؤدى رسالتها فى الركوب والحلب والحرث والسقى ، ولكن رسالة الإنسان أن يعبد الله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) ، فإذا لم يؤدّ هذه الرسالة رغم ما آتاه الله من الطاقات ،والإمكانات والمواهب ، فقد صار أضلّ من الأنعام سبيلا ، وصار أحطّ من الأنعام منزلة ، ولهذا جعل الله هؤلاء حصب جهنمّ ، سرّ هذا كلّه : الغفلة ﴿ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ ﴾ .

أعين قلوبهم قد عميت ، أعمتها الشهوات وأعمتها الشبهات ، فعاشوا لا يدرون أماماً من خلف ، ولا يميناً من شمال .

هؤلاء الذين عميت بصائرهم ، وصمّت عن الحق آذانهم ، وضلّت عن الحقّ عقولهم ، فكانوا أضلّ من الأنعام سبيلا .

يا أيّها الإخوة المؤمنون :

كونوا كعباد الرحمن ، ضعوا نصب أعينكم (الآخرة) تنحلّ المشاكل ، تهن عليكم الدنيا ، ويصبح كلّ أمر عسير يسيراً أمامكم ، تُؤدّى الحقوق إلى أهلها .

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : (من خاف الله لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لن يفعل ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون) ، أى لكان كلّ إنسان يفعل ما يشتهى وما يحلو له ، ولكن هناك قيامة ، وهناك حساب ، كما قال النبى ﷺ للجارية : « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك » (٣) .

---

(١) الأعراف : ١٧٩ . (٢) الذاريات : ٥٦ .

(٣) الحديث ذكره المنذرى فى (الترغيب والترهيب) وقال : رواه أبو يعلى بأسانيد أحدها جيّد ، وذكره الهيثمى فى (المجمع) بعدّة روايات وقال : روى هذا كلّه أبو يعلى والطبرانى بنحوه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٩٣١ ، الحديث ٢٢٦١) .

ولكن هناك قصاص، وهناك عدل إلهى مطلق يقتصّ للشاة الجمّاء من القرناء .

إنّنا فى هذه الدنيا لسنا مخلّدين ، ولكنّنا فيها ضيوف راحلون ، كلّنا فيها مسافر ينتظر الطائرة التى تقلّه ، أو القطار الذى يحمله إلى داره .. إلى دار المقامة .

نحن فى مقيلٍ ، نحن فى محطّة استراحة ، وبعد ذلك يذهب كلٌّ إلى حال سبيله ، ويذهب كلٌّ إلى داره الأصليّة .

تُرى ماذا تكون داره : أهى الجنّة أم هى النّار ؟ .

مرّ الحسن البصرى على شابّ مستغرق فى الضحك ، فقال له : يا هذا علام استغراقك فى الضحك ؟ أعرفت هل تأخذ كتابك بيمينك أم بشمالك ؟ قال : لا ، قال : أمررت بالصراط ونجوت منه ؟ قال : لا ، قال : أعرفت أنّك هاوٍ إلى النّار أو ناج منها ؟ قال : لا ، قال : فعلام ضحكك ؟ فبكى الشاب .

علام يضحك النّاس ، ويستغرقون فى الضحك وفى اللّهو ، وفى الغفلة ، والأمر خطير ؟

ليس معنى هذا أن يظلّ النّاس باكين ، ولكن ليذكر النّاس الآخرة الحين بعد الحين ، ساعة وساعة .

أذكروا الآخرة ، لا تطرحوها وراء ظهوركم ، لا تجعلوها نسياً منسيًّا ، لا تتخذوها وراءكم ظهريًّا .

أذكروها حتى تستقيم حياتكم ، وحتى تقوّم أعمالكم ، وحتّى تسدّد خطاكم فى الطريق إلى اللّه تبارك وتعالى : ﴿ .. رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

اللهمّ إنّا نسألك الجنّة ، ونستعيذ بك من النّار .

اللهمّ إنّا نسألك الجنّة ، وما قرّب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النّار وما قرّب إليها من قول وعمل .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، ادعو ربّكم يستجب لكم .

* *

---

(١) هو من أدعية القرآن الجامعة التى يحسن بالمرء أن يدعو بها . قال تعالى : ﴿ .. فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ، واللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ (البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢) .

• الخطبة الثانية :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

المفروض من المسلم أن يتوازن الرجاء والخوف فى قلبه ، أن يرجو رحمة اللهّ وأن يخشى عذابه ، كما ذكرنا فى الخطبة الماضية قول الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ .. ﴾ (١) .

وكما قال تعالى فى وصف المؤمنين : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٢) .

وكما وصف بعض الأنبياء المصطفين الأخيار :

﴿ .. إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِى الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٣) .

الرغبة : الرجاء فيما عند الله من رحمة .

والرهبة : الخوف ممّا عند الله من عذاب .

الله تعالى وصف نفسه بقوله : ﴿ نَبِّىْء عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ ، لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ ، إِلَيْهِ الْمصيرُ ﴾ (٥) .

ووصف لنا الآخرة فقال : ﴿ .. وَفِى الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ .. ﴾ (٦) ، ففيها العذاب وفيها المغفرة والرضوان .

---

(١) الزّمر : ٩ .
(٢) السجدة : ١٦ .
(٣) الأنبياء : ٩٠ .
(٤) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .
(٥) غافر : ٣ .
(٦) الحديد : ٢٠ .

فلابدّ أن يسير الخطّان متعادلين متوازنين : الحذر والرجاء ، الرغب والرهب ، الخوف والطمع .

لا يغلب الرجاء حتى يصل الرجاء إلى الأمن : ﴿ .. فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾ (١)، ولا يغلب الخوف حتى يصل الخوف إلى اليأس فـ ﴿ .. إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

وإنّما يرجو ويخاف .

ولهذا روى عن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - أنّه قال : لو نادى المنادى يوم القيامة : كلّ النّاس فى الجنّة إلاّ واحداً ، لخفت أن أكون ذلك الواحد ، ولو نادى المنادى : كلّ النّاس فِى النّار إلاّ واحداً ، لرجوت أن أكون ذلك الواحد .

فالرجاء والخوف متوازنان عنده ، وهذا هو المطلوب من الإنسان المسلم .

ولكن من كثرت خطاياه وتفاقمت ذنوبه ينبغى أن يغلّب الخوف ، ولكنّه خوف مشوب بالرجاء ، حتى إذا جاءه الموت كان كذلك الرجل الذى دخل عليه النبّى ﷺ - وهو يحتضر - فقال : « كيف تجدك ؟ » . قال : أرجو الله يا رسول الله وإنّى أخاف ذنوبى ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمعان فِى قلب عبد فى مثل هذا الموطن ، إلاّ أعطاه الله ما يرجو وأمنّه ممّا يخاف » (٣) .

إذا اجتمع الرجاء والخوف ساعة الاحتضار ، فهذا علامة القبول عند الله عزّ وجلّ .

نسأل اللهّ أن يجعلنا من الراجين الخائفين ، وأن يجعلنا من عباد الرحمن .

اللهمّ إنّا نسألك رضاك والجنّة ، ونعوذ بك من سخطك والنّار .

اللهمّ إنّا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النّار وما قرّب إليها من قول أو عمل .

---

(١) الأعراف : ٩٩ . (٢) يوسف : ٨٧ .

(٣) رواه الترمذى عن أنس رضي الله عنه ، وقال : حديث غريب ، وفى بعض النسخ : حسن غريب ، ورواه ابن ماجه ، وابن أبى الدنيا ، وذكره الألبانى فى الصحيحة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٨٧٥ ، الحديث ٢١١٢) .

اللهمّ اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقى .

اللهمّ تُب علينا توبة نصوحا .

اللهمّ أعنّا على شهوات أنفسنا ، وأصلح فساد قلوبنا .

اللهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام ، اللّهمّ انصر المسلمين حيثما كانوا .

اللهمّ أيدّهم بروح من عندك ، وأمدّهم بملأ من جندك ، واحرسهم بعينك التى لا تنام ، واكلأهم فى كنفك الذى لا يضام .

﴿ .. رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (١) .

﴿ .. رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) .

﴿ .. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

﴿ .. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

وصلّ اللهمّ على عبدك ورسولك محمدّ ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥) .

﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ، إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .. ﴾ (٦) .

* * *

(١) الفرقان : ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) البقرة : ٢٠١ .
(٣) آل عمران : ١٤٧ .
(٤) الحشر : ١٠ .
(٥) الأحزاب : ٥٦ .
(٦) العنكبوت : ٤٥ .